

الرجاء والتمني والأمل



«الرجاء: فضيلة عالية، وله منزلة كريمة سامية، ومن الأخلاق الفاضلة أُمَرنا بالتخلُّق بها، وهو يورث المجاهدة بالأعمال والمواظبة على الطَّاعات، وهو من دعائم الإيمان وركائز الأعمال، لا يليق إلا بمَن كان مؤمناً مجاهداً، وقد اعتبره علماء الأخلاق والسلوك من جملة مقامات السَّالكين وأحوال الطالبين.

بل هو من ملازمات الحياة التي لا ينفك عنها الإنسان، وبدونه لا يمكن الفوز بنِعَم الحياة، ولا الطفر بالعيش الهنيئ. فهو والرَّغبة والأمل من الأمور الدخيلة في نظام هذا العالم، فإنَّ بالأمال يتقبَّل الإنسان المشكلات ويقتحم الصَّعاب. وبالرَّغبات تقوم الأسواق وتتحقق أنواع التجارات، وبالأمانى تُقضى الحاجات وتقبل الطلبات، وبالرجاء يعمل الإنسان ويكافح في سبيل العيش والبقاء. ولنعم ما قيل:

أعلِّل النفس بالأمال أرقبها *** ما أضيق العيش لولا فسحة الأمل

وبالجملة: أنَّ للرجاء أثراً كبيراً في حياة الإنسان الفردية والاجتماعية، وله الأهمية الكبرى في الجانب التربوي والدِّيني له، مضافاً إلى كونه من أركان الإيمان إذا كان متعلِّقاً بالله تعالى، فإنَّه يكشف عن عبودية صاحبه له عزَّ وجلَّ، وقوة معرفته به وخوفه منه، لأنَّه يرجع إلى حسن الظن بالله تعالى الذي هو مجمع جملة من الأخلاق الفاضلة، ولذا ورد الأمر به في كثير من الروايات.

فالرجاء يضاعف العزيمة، ويجعل صاحبه مثابراً على العمل بالصبر والثبات، وهو عامل من عوامل النصر والغلبة، قال تعالى: (وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً) (النساء/ 104).

ولقد ورد ذكر الرِّجاء في مواضع متعدِّدة من القرآن الكريم، واعتبره من الأخلاق الفاضلة التي ينبغي للمؤمن أن يتجلَّى بها، بل اعتبره من أجزاء الإيمان، قال تعالى: (فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا) (الكهف/ 110)، وقد أدرجه الأنبياء والمرسلون (عليهم السلام) في جملة ما يدعون إليه، قال تعالى: (وَأِلَى

مَدِينَةَ أَذْهَابِهِمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ - وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ - وَلَا تَعْبُدُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (العنكبوت/ 36)، وقد نوه الجليل عز وجل بعظيم فضله، حيث وعد المؤمنين الصالحين تحقيق رجائهم، قال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَاجِلًا يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّنْ تَبُورَ) (فاطر/ 29)، ويعرف كمال أهميته أن الحرمان منه يعد عند الله تعالى استكباراً، قال تعالى: (وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَ رَبِّهِمْ أَفَلَا أُزِيلُ عَلَيْكُمُ الَّتِجَارَةَ أَوْ نَرِي رَبَّكُمْ لَقَدْ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا) (الفرقان/ 21)، وقد أوعد من لا يرجو لقاء الله بعظيم العذاب، قال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَ رَبِّهِمْ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّ اللَّهَ بَالِغُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِهِمَا وَلِلَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ) * أُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (يونس/ 7-8)، كما أهمله عز وجل، قال تعالى: (فَنَذَرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَ رَبِّهِمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ) (يونس/ 11)، ولذلك كان اليأس - الذي هو ضد الرجاء - من المعاصي الكبيرة التي توجب البعد عن الله سبحانه، والانحراف عن الصراط، قال تعالى: (قَالُوا بِشَرِّ نَزَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْفَاسِقِينَ) * قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ (الحجر/ 55-56).

ولا تختص هذه الفضيلة بالإسلام، بل يعتبر الرجاء ثانية الفضائل الثلاث عند المسيحيين، وهي الأمانة، الرجاء، والمحبة، وهو عندهم فضيلة عظمى ينتظر بها أنواع النعم في الدنيا، والسعادة في الآخرة.

ثم إن الرجاء، والتمني، والأمل وإن كانت مفاهيم مختلفة إلا أنها في أصل الحقيقة واحدة، والفرق بينها اعتباري فقط، فإن الأمل يطلق على رغبة ما هو مرضي ومحمود، والتمني يطلق في المجهول المطلق وما لم يعلم بحصول المتوقَّع، بل حتى مع استحالة أيضاً، بخلاف الرجاء فإنه يطلق في الأعمم ممّا هو مرضي ومحمود، كما أنه لا يطلق إلا على انتظار المتوقع إذا حصل أكثر أسبابه، ولأجل ذلك كان الرجاء ممدوحاً والتمني مكروهاً، ففي الحديث: "الأمانى بضائع الذُّوكى" أي الحمقى.

فالرجاء: هو تعلق النفس بما هو المحبوب عند تحقق أكثر أسبابه، ولذا يرتاح القلب من انتظاره، لأن الإنسان يشاق إلى حصول نتيجة عمله وثمرة جهده.

قال الشاعر:

أمانى إن تحصل تكن غاية المنى *** وإلا فقد عشنا بها زمناً رغداً

وقد اعتبر علماء الأخلاق الرجاء من العوامل الداعية إلى العمل، ويجعل صاحبه صبوراً يتحمل في سبيل تحقيق غرضه أنواع المشاق، ذا عزيمة قوية، والوجه في ذلك معلوم، لأن العلم بالمراد تصوّراً وتصديقاً من مقدّمات الإرادة، وبدونه لا يتحقق لها موضوع، كما ثبت في علم النفس، ولذا كان طلب المجهول المطلق محالاً، وإذا حللنا ذلك بالدقة العقلية، نرى أنه ينحل إلى العلم بالمراد إجمالاً، والتصديق بفائدته كذلك، والرجاء بترتبها عليه والخوف عملاً يوجب البعد عنه، فيرغب إلى ارتفاعه ويرجو زواله، فيكون الرجاء والخوف مأخوذين إجمالاً في تحقيق الإرادة، بلا فرق في ذلك بين الأمور التشريعية وغيرها.

فيكون للرجاء والخوف دخل في أصل الأعمال، وهما متلازمان ويتفا بلان في الوجود والعدم، فإن الخوف عن عدمه يلزمه الرجاء وجوداً، واعتبرهما علماء الأخلاق جناحين يطير بهما المؤمنون إلى كلِّ مقام محمود، ومطيتين يقطع بهما العامل كلِّ طريق مخوف حتى يصل إلى المطلوب. فهما جزءا إرادته، يكشفان عن شدة تعلق صاحبهما بمتعلّقهما ومحبة لهما، فكل حب مصحوب بالخوف والرجاء، وعلى قدر تمكّنه من قلب المحب يشتد خوفه ورجاؤه، فإن التطلع إلى رؤية المحبوب ورجاء ملاقاته يصحبهما توقع حدوث المكروه، ولا أقل من احتمال صرفه عن رؤية المحبوب، فيظل الإنسان دائماً بين الخوف والرجاء، وهو يعيش بينهما آمناً مطمئناً النفس إذا كانا متعلّقين بالله تعالى، قال عز وجل: (يَبْتَغُونَ إِلَهَ رَبِّهِمْ الْوَسِيلَةَ أَيْ يَهْتَمُّونَ بِأَقْرَبِ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ) (الإسراء/ 57)، وفي الحديث: "ما اجتمعا في قلب عبد في هذا الموطن - أي عند النزاع - إلا أعطاه الله ما رجا، وأمنه ممّا يخاف". ▶